

المبسوط

اﻥ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻓﺎﺳﺘﻨﺸﺪﻧﻲ ﻣﻦ ﺃﺷﻌﺎﺭ ﺟﺎﻫﻠﻴﻪ ﻓﻜﻠﻤﺎ ﺃﻧﺸﺪﺕ ﺷﻴﺌﺎ ﻗﺎﻝ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﺇﻳﻪ ﺣﺘﻰ ﺃﻧﺸﺪﺕ ﻣﺎﺋﺔ ﺑﻴﺖ ﻭﺃﻫﻞ ﺍﻟﺤﺪﻳﺚ ﻳﺮﻭﻥ ﺣﺪﻳﺚﻪ ﻫﺬﺍ ﻓﻲ ﺍﻟﺸﻔﻌﺔ ﺃﻥ ﺍﻟﻨﺒﻲ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﺳﺌﻞ ﻋﻦ ﺃﺭﺿﺐ ﺑﻴﻌﺖ ﻟﻴﺲ ﻻﺣﺪ ﻓﻴﻬﺎ ﺷﺮﻛﺔ ﻭﻻ ﻗﻴﺲ ﺇﻻ ﺍﻟﺠﻭﺍﺭ ﻓﻘﺎﻝ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﺍﻟﺠﺎﺭ ﺃﺣﻖ ﺑﺸﻔﻌﺘﻪ ﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﻓﻬﺬﺍ ﻳﺪﻟﻊ ﻋﻠﻰ ﺃﻥ ﺍﻟﻤﺮﺍﺩ ﺣﻘﻴﻘﺘﻪ ﻻﻧﻪ ﻧﻔﻲ ﺍﻟﺸﺮﻛﺔ ﻓﻲ ﺍﻟﺴﻭﺍﻝ ﻭﺃﺛﺒﺖ ﺍﻟﺠﻭﺍﺭ ﻓﻘﺎﻝ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﻭﻟﻪ ﻣﻌﻨﻴﺎﻥ ﺃﺣﺪﻫﻤﺎ ﺃﻥ ﺍﻟﻤﺮﺍﺩ ﻣﻦ ﻛﺎﻥ ﻓﻴﻦ ﻣﺎ ﺗﺬﻛﺮ ﺑﻤﻌﻨﻰ ﻣﻦ ﻗﺎﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ! ! ﻓﻬﻭ ﺩﻟﻴﻞ ﻋﻠﻰ ﺃﻥ ﺍﻟﺸﻔﻌﺔ ﻟﻠﺬﻛﺮ ﻭﺍﻻﺋﺌﻰ ﻭﺍﻟﺤﺮ ﻭﺍﻟﻤﻤﻠﻮﻙ ﻭﺍﻟﺼﻐﻴﺮ ﻭﺍﻟﻜﺒﻴﺮ ﻭﺍﻟﻤﺴﻠﻢ ﻭﺍﻟﺬﻣﻲ ﻭﺍﻟﺜﺎﻧﻲ ﺃﻥ ﺍﻟﻤﺮﺍﺩ ﺑﻘﻮﻟﻪ ﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﺃﻱ ﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﺃﻱ ﻳﺤﺘﻤﻞ ﺍﻟﻘﺴﻤﺔ ﺃﻭ ﻻ ﻳﺤﺘﻤﻞ ﺍﻟﻘﺴﻤﺔ ﻓﻴﻜﻮﻥ ﺩﻟﻴﻼ ﻟﻨﺎ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺸﺎﻓﻌﻲ ﺣﻴﺚ ﻳﻘﻮﻝ ﻻ ﺗﺘﺒﺖ ﺍﻟﺸﻔﻌﺔ ﺇﻻ ﻓﻴﻤﺎ ﻳﺤﺘﻤﻞ ﺍﻟﻘﺴﻤﺔ ﻭﺑﻈﺎﻫﺮﻩ ﻳﺴﺘﺪﻟﻊ ﻣﻦ ﺃﻭﺟﺐ ﺍﻟﺸﻔﻌﺔ ﻓﻲ ﺑﻌﺾ ﺍﻟﻤﻨﻘﻮﻻﺕ ﻛﺎﻟﺴﻔﻦ ﻭﻧﺤﻮﻫﺎ ﻭﻫﻭ ﻗﻮﻝ ﺃﺻﺤﺎﺏ ﺍﻟﻈﻮﺍﻫﺮ ﻭﻟﻜﻦ ﻣﺎ ﺭﻭﻳﻨﺎ ﻣﻦ ﻗﻮﻟﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﺍﻟﺸﻔﻌﺔ ﻓﻲ ﻛﻞ ﺭﺑﻊ ﺃﻭ ﻋﻘﺎﺭ ﺗﺒﻴﻦ ﺃﻥ ﺍﻟﻤﺮﺍﺩ ﺑﻘﻮﻟﻪ ﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﺍﻟﻌﻘﺎﺭ ﺩﻭﻥ ﺍﻟﻤﻨﻘﻮﻝ ﻭﻋﻦ ﺷﺮﻳﺢ ﺃﻧﻪ ﻗﻀﻰ ﻟﻠﻨﺼﺮﺍﻧﻲ ﺑﺎﻟﺸﻔﻌﺔ ﻭﻛﺘﺐ ﻓﻲ ﺫﻟﻚ ﺇﻟﻰ ﻋﻤﺮ ﺑﻦ ﺍﻟﺨﻄﺎﺏ ﺭﺿﻲ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻪ ﻓﺃﺟﺎﺯﻫﺎ ﻭﺑﻬﺬﺍ ﻧﺁﺧﺪ ﺩﻭﻥ ﻣﺎ ﺭﻭﺍﻩ ﺑﻌﺪ ﻫﺬﺍ ﻋﻦ ﺷﺮﻳﺢ ﺃﻧﻪ ﻗﺎﻝ ﻻ ﺷﻔﻌﺔ ﻟﻴﻬﻮﺩﻱ ﻭﻻ ﻟﻨﺼﺮﺍﻧﻲ ﻭﻻ ﻟﻤﺠﻮﺳﻲ ﻭﺑﻘﻮﻟﻪ ﺍﻟﺜﺎﻧﻲ ﻛﺎﻥ ﻳﺁﺧﺪ ﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﻟﻴﻠﻰ ﻓﻴﻘﻮﻝ ﺍﻟﺁﺧﺪ ﺑﺎﻟﺸﻔﻌﺔ ﺭﻓﻖ ﺷﺮﻋﻲ ﻓﻼ ﻳﺘﺒﺖ ﻟﻤﻦ ﻫﻭ ﻣﻨﻜﺮ ﻟﻬﺬﻩ ﺍﻟﺸﺮﻳﻌﺔ ﻭﻟﻜﻨﺎ ﻧﺁﺧﺪ ﺑﻤﺎ ﻗﻀﻲ ﺑﻪ ﺷﺮﻳﺢ ﻓﻘﺪ ﺗﺁﻳﺪ ﺫﻟﻚ ﺑﺎﻣﺘﻨﺎ ﻋﻤﺮ ﺭﺿﻲ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻪ ﺗﻢ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺬﻣﺔ ﺍﻟﺘﺰﻣﻮﺍ ﺃﺣﻜﺎﻡ ﺍﻟﺒﻼﻏﺔ ﻓﻴﻤﺎ ﻳﺮﺟﻊ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﻤﻌﺎﻣﻼﺕ ﻭﺍﻟﺁﺧﺪ ﺑﺎﻟﺸﻔﻌﺔ ﻣﻦ ﺍﻟﻤﻌﺎﻣﻼﺕ ﻭﻫﻭ ﻣﺸﺮﻭﻉ ﻟﺪﻓﻊ ﺍﻟﺰﺭﺭ ﻭﺍﻟﺰﺭﺭ ﻣﺪﻓﻮﻉ ﻋﻨﻬﻢ ﻛﻤﺎ ﻫﻭ ﻣﺪﻓﻮﻉ ﻋﻦ ﺍﻟﻤﺴﻠﻤﻴﻦ ﻭﻋﻦ ﺍﻟﺤﺴﻦ ﺭﺿﻲ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻪ ﻗﺎﻝ ﻗﻀﻰ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﺑﺎﻟﺸﻔﻌﺔ ﻭﺍﻟﺠﻭﺍﺭ ﻭﻓﻲ ﺑﻌﺾ ﺍﻟﺮﻭﺍﻳﺎﺕ ﺑﺎﻟﺠﻭﺍﺭ ﻭﻫﻭ ﺩﻟﻴﻞ ﻟﻨﺎ ﻋﻠﻰ ﺍﺳﺘﺤﻘﺎﻕ ﺍﻟﺸﻔﻌﺔ ﺑﺴﺒﺐ ﺍﻟﺠﻭﺍﺭ ﻓﺁﻣﺎ ﻣﻌﻨﻰ ﺍﻟﻠﻘﻆ ﺍﻻﺧﺮ ﺃﻥ ﺍﻟﺠﺎﺭ ﻛﺎﻥ ﻣﻨﺎﺯﻋﺎ ﻓﻘﻀﻰ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻟﻪ ﺑﺎﻟﺠﻭﺍﺭ ﻭﺑﺎﻟﺸﻔﻌﺔ ﻓﻬﻭ ﺩﻟﻴﻞ ﻋﻠﻰ ﺃﻥ ﺍﻟﺠﻭﺍﺭ ﻳﺴﺘﺤﻖ ﺑﻪ ﺍﻟﺸﻔﻌﺔ ﺣﺘﻰ ﺳﻤﻊ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻓﻴﻪ ﺍﻟﺨﺼﻮﻣﺔ ﻓﻘﻀﻲ ﺑﻪ ﻭﺑﺎﻟﺸﻔﻌﺔ ﻭﻋﻦ ﺍﻟﺤﺴﻦ ﻗﺎﻝ ﺇﺫﺍ ﺍﻗﺘﺴﻢ ﺍﻟﻘﻮﻡ ﺍﻟﺄﺭﺿﻴﻦ ﻭﺭﻓﻌﻮﺍ ﺳﺮﺑﺎ ﺑﻴﻨﻬﻢ ﻓﻬﻢ ﺷﻔﻌﺎﺀ ﻭﺑﻪ ﻧﺁﺧﺪ ﻓﻨﻘﻮﻝ ﺍﻟﺸﺮﻛﺔ ﻓﻲ ﺍﻟﺴﺮﺏ ﺗﺴﺘﺤﻖ ﺑﻪ ﺍﻟﺸﻔﻌﺔ ﻻﻧﻬﺎ ﺷﺮﻛﺔ ﻓﻲ ﺣﻘﻮﻕ ﺍﻟﻤﺒﻴﻊ ﻓﻴﺘﺒﺖ ﺑﺎﻋﺘﺒﺎﺭﻩ ﺣﻖ ﺍﻟﺸﻔﻌﺔ ﻛﺎﻟﺸﺮﻛﺔ ﻓﻲ ﻧﻔﺲ ﺍﻟﻤﺒﻴﻊ ﻻﻥ ﺍﻟﺤﺎﺟﺔ ﺇﻟﻰ ﺩﻓﻊ ﺍﻟﺰﺭﺭ ﺍﻟﺒﺎﺩﻱ ﻟﺴﻮﺀ ﺍﻟﻤﺠﺎﻭﺭﺓ ﻳﺘﺤﻘﻖ ﻓﻲ ﺍﻟﻤﻮﻭﺿﻌﻴﻦ ﺟﻤﻴﻌﺎ ﻭﻋﻦ ﺷﺮﻳﺢ ﻗﺎﻝ ﺍﻟﺸﻔﻌﺔ ﺑﺎﻟﺄﺑﻮﺍﺏ ﻓﺁﻗﺮﺏ ﺍﻟﺄﺑﻮﺍﺏ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺪﺍﺭ ﺃﺣﻖ ﺑﺎﻟﺸﻔﻌﺔ ﻭﻟﺴﻨﺎ ﻧﺁﺧﺪ ﺑﻬﺬﺍ ﻭﺇﻧﻤﺎ ﺍﻟﺸﻔﻌﺔ ﻋﻨﺪﻧﺎ